الفيلسوف والمفكر النمساوي هانس كوكلر Hans Koechler متخصص في فلسفة القانون والسياسة، حيث قيد طواعية «متسلحا» ومتشبعا بالفلسفة الهيديجيرية، التي ألف فيها الكثير ودرسها لسنوات عديدة بجامعة إنسبروك النمساوية، واشتغل لعقود كأستاذ جامعي ورئيس قسم الفلسفة بها. وفلسفة هيدجر هذه هي التي فتحت له آفاق شاسعة لتجاوز «المركزية الأوروبية»، المؤسسة على ذاتية ميتافيزيقية قوامها إرادة القوة ومحاولة السيطرة على الطبيعة، بما فيها الإنسان، ومعانقة فلسفة «إنسية» منفتحة على ثقافات وحضارات مختلفة ومؤمنة بمبدأ حق جميع الشعوب في العيش الكريم والمساواة أمام القانون الدولي في الحقوق والواجبات. كوكلر غير غريب عن جريدة «الأحداث المغربية»، التي قدمت في مناسبات عديدة حوارات معه أو نصوص له في ميادين تخصصه. نعاود الحوار معه مركزين هذه المرة بالخصوص على جائحة كورونا ومشاكلها وعواقبها على البشرية.

الفيلسوف النمساوي قال للأحداث المغربية إن دولا كالمغرب وتركيا أثبتت أنها أكثر فاعلية من الاتحاد الأوروبي في التطعيم

كوكلر: للثقافة العالمية بالمغرب دور بارز في حوار الحضارات

● حاوره **حميد لشهب/النمسا**

■ غيرت جائحة كورونا اليوم البشرية نسبيا في غضون عام. ما هي برأيكم النتائج المتوسطة والطويلة المدى لهذه التغييرات؟

● **قبل كل شيء، سلط الوباء الضوء على مشاكل وتناقضات عالمنا المعولم. بسبب نشاط السياحة غير الخاضع للرقابة وعدم وجود ضوابط حدودية أو غير فعالة، انتشر الفيروس بسرعة كبيرة في جميع أنحاء العالم. على المدى المتوسط، ربما ستحاول البلدان بجدية أكبر إنتاج المزيد من السلع الأساسية بأنفسها - وخاصة في المجال الطبي. على المدى القصير، سيكون الناس أيضا أكثر حذرا عندما يتعلق الأمر بالسياحة الجماهيرية، وهي بالتأكيد ليست نموذجا اقتصاديا مستداما. وفي البلدان السياحية مثل النمسا، لا يحدث هذا من منظور حقيقي للاستدامة، بل بسبب انتهازية خالصة، لأن المرء يخشى أن يتم وضع البلد على قائمة تحذيرات السفر وأن يخسر عائدات السياحة. وفيما يتعلق بالبنية التحتية الطبية، نأمل أن تزداد قدرات المستشفيات على المدى المتوسط وتحسين معايير النظافة في ضوء الأوبئة المستقبلية. لا أتوقع حقا إعادة تفكير أساسية في أسلوب الحياة والنظام الاقتصادي في المجتمع الصناعي والاستهلاكي الحديث. على المدى الطويل، من المرجح أن يعود المرء إلى العادات القديمة. ويرجع ذلك إلى ديناميكيات المنافسة العالمية الجامحة** ungezügelte**، حيث تكون اعتبارات الصالح العام أقل أهمية من السعي وراء الربح. بمجرد ما يصبح الوباء تحت السيطرة نسبيا، فمن المحتمل أن تستأنف السياحة الجماعية العالمية الجامحة** ungezügelte**. ومن ناحية أخرى، يمكن أن ينخفض السفر التجاري، حيث رأت الشركات الآن أنه يمكن القيام بالكثير من خلال مؤتمرات الفيديو، وبالتالي يمكن توفير الكثير من المال. إن عدم القدرة الفعلية لمجتمع المرح الغربي على كبح الجشع لمزيد من الرخاء والمتعة -بغض النظر عن الصالح العام- يعني أنه لا يمكن توقع أي خير لمستقبل الحضارة الغربية.**

■ كيف ترون الخلاف حول اللقاحات داخل أوروبا؟

● **إن التضامن الأوروبي موجود فقط على الورق والفساد يتغلغل في جميع المجالات، وبالخصوص في مجال «سوق اللقاحات Impfstoffbasar» (كما يسميه مسؤولو الاتحاد الأوروبي أنفسهم) في بروكسيل. في هذا الوباء على وجه الخصوص، أثبت الاتحاد الأوروبي أنه كيان مختل، غير قادر على طلب سلعة حيوية (اللقاحات) بالتخطيط المسبق بكميات كافية ثم توزيعها بسرعة وبعدل - حسب الحصة المتفق عليها. بالإضافة إلى ذلك، أصبح من الواضح أن اشتغال بروكسيل البيروقراطي منفصل تماما عن هموم المواطنين. كان من الأفضل لو طلبت كل دولة اللقاح بنفسها وتفاوضت مباشرة مع المورد. أثبتت الدول غير الأعضاء في الاتحاد الأوروبي مثل المغرب وتركيا وصربيا بأنها أكثر فاعلية من دول الاتحاد الأوروبي في شراء وإدارة جرعات التطعيم. كما أن منظمة الصحة العالمية (WHO) تصرفت بشكل غير فعال وغير كفء إلى حد ما في التوزيع العالمي للقاحات.**

■ كيف تفسرون عزوف الاتحاد الأوروبي عن لقاحات من دول أخرى (روسيا والصين)؟

● **يتعلق الأمر كله بحماية المصالح الأوروبية (الاقتصادية وكذلك الجيوسياسية)، وليس باهتمامات طبية. من وجهة نظر طبية بحتة، فإن بعض المستحضرات الروسية والصينية أكثر فعالية - وأيضا أكثر أمانا - من بعض المستحضرات المصنوعة في أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة أيضا إلى أن الوكالة الطبية الأوروبية (EMA) فقدت الكثير من مصداقيتها بسبب سياسة الموافقة على اللقاحات وتكتيكات التأخير. وهناك مشكلة أخرى هي أن المسؤولين المؤثرين في هذه الوكالة كانوا من جماعات الضغط (لوبيات) لصناعة الأدوية. يفتقرون قبل كل شيء إلى الاستقلال الذهني (عن جماعات الضغط وكذلك عن الحكومات)، وهو استقلال لا غنى عنه عند اتخاذ القرارات في مثل هذه الأزمة الوجودية.**

■ يبدو وكأن اللقاح الروسي يشق طريقه إلى الاتحاد الأوروبي. هل هذا، في رأيكم نجاح دبلوماسي لروسيا؟

● **إنه ليس نجاحا دبلوماسيا إلى حد كبير، ولكنه نجاح طبي لروسيا، أي نجاح البحث العلمي الروسي. حتى الآن، تحاول بروكسيل جاهدة تأجيل عملية الموافقة الأوروبية على اللقاح الروسي. وبسبب النقص الكارثي في اللقاحات، تعرض بعض السياسيين لضغوط سياسية داخلية كبيرة لدرجة أنهم يفكرون في الموافقة على السماح بهذا اللقاح في بلدانهم. وينطبق هذا أيضا وبشكل خاص على النمسا، التي قد تحذو حذو المجر. وفي ضوء المزاج السياسي السيئ وعقوبات الاتحاد الأوروبي والتهديدات بفرض عقوبات على روسيا، فإن المزيد من دول الاتحاد الأوروبي (بما في ذلك ألمانيا وإيطاليا) قد تؤيد الموافقة على اللقاح الروسي، وحتى النظر في الترخيص لإنتاجه محليا في بعض دول الإتحاد الأوروبي، ويكون هذا بشكل غير مباشر نجاحا دبلوماسيا لروسيا.**

> **من خلال مثال كارثة القرن هذه، يمكن للمرء أن يرى على أي حال بأن الفردانية الغربية قد فشلت وبأن «النزعة الإنسانية» التي يتم التذرع بها كثيرا قد فقدت مصداقيتها**

■ أظهرت هذه الجائحة كيفية تعامل الدول «الغنية» مع الدول «الفقيرة» في العالم. ما مدى مصداقية الدول الغنية اتجاه العالم الفقير؟

● **هنا أيضا، الأمور مشابهة لتلك الموجودة داخل الاتحاد الأوروبي: لا يوجد هناك تضامن. يتضح هذا بشكل خاص في عدم الفعالية الكلية لآلية توزيع اللقاحات العالمية** COVAX **في إطار منظمة الصحة العالمية/الأمم المتحدة.**

تجتاز الفردانية الغربية حاليا امتحانا عسيرا. فمجتمع الاستهلاك والمرح، الذي يبدو بأن شعار حكم الإمبراطورية الرومانية المتأخرة panem et circenses **(الخبز واللعب) - يطبق أكثر فأكثر عليه، لم تثبت بأنه مستعد لتحمل تحديات هذه الأزمة. إن الفهم الفردي، الطفولي في نهاية المطاف للحرية الذي يزيل عن الحرية مبدأ المسؤولية ويهدف فقط إلى الإعتباطية في الوقت الحالي، لا يمكنه رؤية التخلي المؤقت عن الحريات الفردية، كما هو مطلوب في زمن الأوبئة، في السياق الأوسع للصالح العام. وهذا هو سبب عدم قدرة دول الغرب - مع استثناءات قليلة - على التصرف بطريقة هادفة ومنسقة. لم تتخذ الحكومات قرارات تطلعية، بل اتخذت قرارات بناء على اللحظة تحت ضغط مجموعات المصالح، بحيث إن المرء لم ينجح في احتواء الوباء لمدة عام كامل. الحقيقة هي أنه بهذه الطريقة يتم قبول موت العديد من كبار السن والضعفاء صحيا، على الرغم من أنه كان من الممكن إنقاذ العديد من الأرواح لو كان هناك المزيد من الانضباط ولو كانت للحكومات الشجاعة الكافية لاتخاذ إجراءات غير شعبية. والملاحظ هو أن الدول الآسيوية تصرفت تجاه هذه الجائحة بمسؤولية أكبر. ويتبين بأن المقارنة الحضارية بين الغرب وهذه الدول تضر الغرب أكثر فأكثر. من خلال مثال كارثة القرن هذه، يمكن للمرء أن يرى على أي حال بأن الفردانية الغربية قد فشلت وبأن «النزعة الإنسانية» التي يتم التذرع بها كثيرا قد فقدت مصداقيتها.**

■ إن حضوركم المنتظم في المشهد الثقافي العربي، وخاصة في المغرب، وبفضل ترجمة بعض أعمالكم، يزيد عدد الطلاب الذين يشتغلون في أعمالهم الأكاديمية حول جوانب معينة من اهتماماتكم الفكرية. ما هي أهمية الترجمة للحوار بين الثقافات؟

● **من الناحية التأويلية، تعتبر ترجمة الأعمال الفلسفية جزءا مهما للغاية مما يسميه جادامر** Gadamer **«تاريخ التأثير». تكشف الفكرة عن تأثيرها الكامل فقط في تعدد التفسيرات التي تتدفق فيها تجربة الفضاءات الحضارية والثقافية الأخرى - «بيئات معيشية» أخرى. وبهذه الطريقة، تنفتح آفاق جديدة للعمل على فترات زمنية أطول. وبهذا المعنى، فإن الترجمة هي بالفعل مساهمة أساسية في حوار مثمر بين الحضارات. إن ما أسميه شخصيا «ديالكتيك الصورة الذاتية الثقافية» يتم التعبير عنه بشكل واضح في فعل الترجمة. ومثلما لا يوسع القارئ أفق عالم الحياة من خلال اللقاء مع العمل فحسب، بل يعيد تشكيله أيضا، يمكن للمؤلف أيضا فهم موقفه بشكل أفضل (تجربة العالم) في الحوار مع القارئ – كمؤول- وتكون هذه العملية أكثر تمايزا، كلما زاد التنوع الثقافي لآفاق التفاهم. وتلعب الثقافة العالمية المفعمة بالحيوية في المغرب دورا بارزا في الحوار بين الحضارات هذا.**